14- المسرح العربي المعاصر وقضاياه

تمهيد: إذا كانت المسرحية هي تلك القطعة الأدبية، أو النص الأدبي الحواري الذي يبدعه الكاتب المسرحي من أجل أن يقرأ أولا ثم يعرضه الممثلون أمام جمهور المشاهدين على خشبة المسرح، فإن المسرح يعني النص المكتوب يضاف إليه مستلزمات التمثيل أو العرض أي بتعبير آخر المسرحية المعدة للتمثيل والآداء الذي يستدعي بالضرورة الممثلين والجمهور والمكان أي دار المسرح أو المكان الذي تعرض فيه المسرحية أمام المتفرجين وما يتطلبه إخراجه من ديكور أو أدوات مادية كالأثاث والإضاءة والألوان والموسيقى والغناء.

البدايات:

الأدب التمثيلي أو المسرحي قديم في آداب اليونان والرومان، لكن أدبنا العربي القديم عزف عن هذا الفن وعن نقله وترجمته إلى اللغة العربية لأنه ارتبط بالوثنية وتعدد الآلهة، والدين الإسلامي يرفض هذا المعتقد، ثم إن العرب لم يعرفوا قديما دُور المسرح، أو المسارح المشيدة في الطبيعة كالتي اتخذتها الأمم التي عرفت المسرح. كما أن الشاعر العربي كان أميل إلى الذاتية والوجدانية فعبر عن ذاته عن طريق الشعر الغنائي.

إذا فالأدب العربي لم يعرف المسرح إلا حديثا، متأثرا بالغربيين، حين أتيح لأدبائنا العرب الاحتكاك بالأوربيين والسفر إلى بلادهم، فقرأوا عنهم المسرح وشاهدوا العروض المسرحية، ويذهب علي بوملحم إلى أن مارون النقاش هو الرائد الأول للمسرح فبعد رحلته إلى أوربا عاد إلى لبنان وألف مسرحية (البخيل)، وعلم جماعة من أصدقائه ليمثلوا أدوار المسرحية عام 1848، كما كتب مسرحية (أبي الحسن المغفل أو هارون الرشيد) ومثلت في بيته عام 1850.

وإن كان ميلاد المسرح العربي في لبنان فإنه سرعان ما هاجر كتاب المسرح وفرقهم المسرحية إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر، لأنها تتمتع بشيء من حرية التعبير، ثم إن الخديوي إسماعيل كان قد أنشأ (دار الأوبرا). ومن هذه الفرق المسرحية فرقة سليم النقاش، وفرقة أحمد أبي خليل القباني التي مثلت من النصوص المسرحية (أنيس الجليس)، و(عنترة العبسي)، ثم هاجر إلى مصر الأديب اللبناني جورج أبيض الذي تلقى فن التمثيل في باريس، وقدم إلى المسرح (جريح بيروت)، و(عطيل)، و (أوديب). وتجدر الإشارة إلى أن المسرح كان يقدم بالعامية قبل أن يرتقي إلى اللغة الفصحى.

وفي مصر كان أحمد شوقي من الأدباء الرواد في ميدان المسرح الشعري حيث بدأ منذ عام 1927 بكتابة مسرحياته الشعرية المتتابعة وكانت أولاها (مصرع كليوباترا)، ثم (مجنون ليلى، وعنترة، وقمبيز، وعلي بك الكبير، والست هدى).

ويبدو تأثر شوقي بالمسرح الكلاسيكي حيث صاغ مسرحياته شعرا، واختار موضوعاتها من التاريخ العربي أو المصري.

بعد هذه الجهود "وفي أوائل النصف الثاني من القرن العشرين ظهر نوابغ التأليف المسرحي يتقدمهم شيخهم توفيق الحكيم، وينجح الحكيم في مهمته بسبب تمكنه من الثقافة الغربية وإتقانه الفرنسية".

وحق لتوفيق الحكيم أن يوصف بشيخ نوابغ التأليف المسرحي، فقد خلف فيه ما يربو عن عشرين أثرا نثريا بعدما كانت المسرحيات تكتب شعرا.

المسرح العربي المعاصر وقضاياه:

في حديثه عن مراحل تطور المسرح العربي يذهب الأستاذ عبد الله أبو هيف إلى أنه بعد الثورة المصرية "يوليو 1952" عرفت الساحة العربية ميلاد المسرح الملتزم إيديولوجيا، وظهرت محاولات لإدماج عناصر تقليدية في الإبداع المسرحي العربي سعيا لتأصيله كالسامر والحكايات الشعبية والمقالات، ومن أعلام هذه الفترة: محمود تيمور، محمود المسعدي، سعيد عقل، ألفريد فرج، يوسف إدريس، أحمد الطيب العلج، يوسف الصديقي، الحبيب بولعراس...

وبعد هزيمة 1967، اتسع نطاق محاولات التأصيل مشرقا ومغربا بالكتابة حول القضايا القومية كقضية فلسطين والهوية الثقافية العربية... ويمثل لهذه الفترة بمجموعة من الرواد، كسعد الله ونوس، ونجيب سرور، وسعد الدين وهبة، وعلي سالم، وفوزي فهمي ، وعبد الكريم برشيد، ومحمود ذياب، ونعمان عاشور...

مسرحية الملك هو الملك لسعد الله ونوس:

سعد الله ونوس (1941- 1997):

أديب وكاتب مسرحي سوري ولد بقرية حصين البحر بالقرب من مدينة "طرطوس" ، درس ببلدته ثم انتقل إلى مصر أين تحصل على الأجازة في الصحافة من جامعة القاهرة، درس المسرح في باريس، عاد إلى دمشق واشتغل بالمسرح والصحافة، أصيب بسرطان البلعوم وتوفي عام1997 مخلفا إرثا كبيرا في القصة والمسرح من أشهر أعماله، جثة على الرصيف، لعبة الدبابيس، الفيل يامللك الزمان، مغامرة رأس المملوك جابر، سهرة مع أبي خليل القباني، يوم من زماننا، منمنمات تاريخية، أحلام شقية، الأيام المخمورة، الملك هو الملك...

ملخص المسرحية:

تتناول مسرحية "الملك هو الملك" قصة ملك أصابه الضجر فأراد أن يروح عن نفسه ويطلب شيئا من المرح عن طريق التواصل مع رعيته متنكرا فوقع اختياره على تاجر مفلس اسمه" أبو عزة" كان هذا التاجر قد استسلم لمعاقرة الخمر وحين تذهب النشوة بعقله وفكره يحلم بأنه صار ملكا ليثأر من الذين تسببوا في إفلاسه، فكان أن زاره الملك رفقة وزيره متنكرين وألبساه لباس الملك، وحين استفاق من سكرته وجد نفسه في القصر الملكي محاطا بالخدم والحشم فصدّق أنه الملك، وتجاهل كل من يعرفه حتى أهله، ولعب دور الملك واستبد بمن حوله ولم يجرؤ أحد على أن يعرّفه بحقيقة نفسه. وأصابت الملك الحقيقي الحسرة والألم على ملكه الذي ضيعه بهذه اللعبة المثيرة والمزحة العابثة .

المسرحية ذات مغزى سياسي واضح إذ يكفي لأن تكون ملكا أن تلبس لباس الملك وتقوم بدوره في الظلم والاستبداد. لكن التغيير الحقيقي يجب أن يكون من الشعب الذي يختار الحاكم بإرادته دونما خوف أو مجاملة أو تزلف.

المسرح في الجزائر:

وفي الجزائر ومع بدايات القرن العشرين ظهرت في الساحة المسرحية أسماء مثل رشيد القسنطيني ومحي الدين بشطارزي.

ثم عبد الرحمان ولد كاكي الذي كتب (بني كلبون، القراب والصالحين، ديوان الملاح). و"كل واحد وحكمو" التي تروي حادثة انتحار "الجوهر" فتاة في مقتبل العمر ذات أربعة عشر ربيعا أرغمت على الزواج كزوجة رابعة من رجل مسن وثري. وهي مقتبسة من قصة واقعية حدثت بمستغانم.

كما كتب "سلالي علي" المعروف ب"علالو" (الأجواد، والأقوال، واللثام)

والملاحظ على المسرح الجزائري أنه اهتم بإدانة الاستعمار، وبعد الاستقلال اتجه إلى انتقاد الأوضاع الفاسدة، والعلاقة بين الشعب والسلطة، والمنظومة الثقافية، وحياة البسطاء " المحقورين" أو لِنقلْ "المقهورين"، كما عالج البيروقراطية ومظاهر الفساد وسوء التسيير.

وهذا الطرح تم بلغة عامية بسيطة قريبة من مستوى الجمهور، وكثيرا ما يقتبس موضوعاته من الغرب ومن التراث الشعبي ومن الدين والتاريخ.

وكتب الطاهر وطار باللغة الفصحى مسرحية "الهارب" التي تدور حول الثورة التحريرية.

ومن المسرح الشعري مسرحية "أبوليوس" للشاعر الجزائري "أحمد حمدي" وهي من أبرز المحاولات التي استلهمت التاريخ ممثلا في شخصية "أبوليوس" الكاتب الفيلسوف المثقف المناضل ضد الظلم والعبودية في العهد الروماني.